

شخصيات من الحرمين الشريفين

(٢٩)

زيد بن حارثة

محمد سليمان



﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ وَأَنْعَمَتْ عَلَيْهِ ﴾ ١٠

هناك من الصحابة من توفرت فيهم من الملاكات الإيمانية، والمواهب النفسية، والقدرات الجسدية، بدرجة عجز عنها آخرون غيرهم، فزالوا ذكراً طيباً في تاريخنا الإسلامي عبر ما حملوه من أمانة السماء، وما بلغوه من مبادئها، وقيمها، ومفاهيمها، وأحكامها.

وقد اتسمت أنشطتهم بالصدق والإخلاص، وجهودهم بالتضحية والبذل، فكان عطاؤهم عظيماً، وإرثهم نافعاً، وتاريخهم حافلاً بالحب، مشرقاً بالنور، زاهراً بالأمل والخير ...

وقد وفقني ربي للكتابة عن عدد منهم عبر هذه المجلة

الموقرة، آملاً أن أزيد إن مد الله تعالى في عمري، وسددني في أن أقدم شيئاً لهؤلاء العظماء، فلعله يشكل بعض وفاء لما بذلوه في الدعوة و الهداية إلى الله تعالى، أسأله تعالى أن يدخره لي يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وهذه المرة نقف عند صحابي جليل، ما إن يذكر حتى يُذكر معه امرأتان مؤمنتان صالحتان، الأولى: أم أيمن، التي كان لها دور متميز في المسؤولية والدعوة إلى الله تعالى..

فيما الثانية: زينب بنت جحش، التي شاء السماء أن تكون مع زيد شريكة، ضمن مشروعها التغيير في الساحة المسلمة يومذاك.

إنه زيد بن حارثة! الذي

أنعم الله عليه بنعم عظيمة، وما أعظمه من تصريح في كتابه العزيز: ﴿.. أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ..﴾! فقد أنعم عليه بالإسلام وأعزه بالهداية إليه، وأنعم الله عليه بالقرب من رسوله وبحبِّ الرسول ﷺ له، وتنبيهه له، ذلك الحب الذي يتقدم به على غيره، والذي أنعم عليه الرسول ﷺ بصريح التنزيل المجيد: ﴿.. وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ..﴾. وما أجله من تصريح هو الآخر! إضافةً إلى الهداية، وهي الأعظم، تفضل عليه بالرعاية الخالصة، والتربية وقضاء حوائجه، وبالعتق وبناء مستقبل حياته.. حتى كان ذا شأن كبير في عالم الدعوة إلى الله تعالى وساحات الجهاد في سبيله.. وحظي بثقة رسول الله ﷺ فلم يبعثه في

جيش ولا في جماعة إلا جعله أميراً على من معه.

زيد أحب :

فمع أن زيدا كان من أقدم الصحابة إسلاماً، وكان على قرب قريب من بيت النبوة، وكان على صلة وثيقة برسول الله ﷺ حتى كان حبيباً له، وقد عرف بهذا أنه حبيب لرسول الله ﷺ ونال بذلك وساماً مباركاً، وشهادة ممن عاصره من الصحابة ما أجّلها! حظي بها زيد وهو شهيد بين يدي ربّه؛ فعن ابن عمر أن عمر فرض لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، قال: فقلت له في ذلك، فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وإنّ أباه أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك! ٢

نَسَبُهُ

زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود - سماه أبوه بصنمه - بن امرئ القيس بن النعمان بن عمران بن عوف بن كنانة بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن وبرة بن كلب بن وبرة؛ وينتهي نسبه إلى قضاة.

وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت بن سلسلة من بني معن من طيء.^٣

وكنيته: أبو أسامة الكلبى. من صفاته الجسمية، أنه كان قصيراً آدم - أي أسمر - شديد الأدمة، أفتس الأنف..

زيد أسيراً!

لقد كان الرّق في ذلك الزمان

البعيد يحتل مكانة واسعة، وراح يفرض نفسه كظرف اجتماعي وواقع، وضرورة قائمة.. ففي أثينا - كما ذكروا - كانت ظاهرة الرق، حتى في أزهى عصور حريّتها ورقّيّها.. وكذلك كانت تلك الظاهرة في روما.. والأمر نفسه في العالم القديم كله.. وبالتالي في جزيرة العرب أيضاً..

وقد وقع زيد بن حارثة ضحية هذا النظام القاسي، وكان واحداً من ضحايا ذلك الواقع الاجتماعي المرير، فقد أصابه سبأ في الجاهلية وهو ابن ثمان سنين؛ فبعد أن أعدّ حارثة أبو زيد الراحلة والمتاع لزوجته سعدى، التي كانت تزعم زيارة أهلها في بني معن... وخرج يودع زوجته التي كانت تحمل بين يديها

القين بن جسر، وأنزلت الهزيمة بأهل الحي، وما أن مروا على أبيات بني معن رهط أم زيد، حتى احتملوا زيداً معهم، وهو يومئذ غلام يافع.

ورجعت وحيدة!

وعادت سعدى إلى زوجها وحيدة، ولم يكد حارثة يعرف النبأ منها حتى خرّ صعقاً، وحمل عصاه على كاهله، ومضى يجوب الديار، ويقطع الصحاري، ويسأل كل قبيلة في طريقه أو قافلة تصادفه عن ولده وحبّة قلبه زيد، وهو يحدو ناقته بأبيات شعر من الطويل، ظل ينشدها بقلب مفجوع، ودموع جارية، ومن تلك الأبيات:

طفلهما الصغير زيداً، وكما همّ أن يودع القافلة التي كانت أم زيد برفقتها ويعود إلى شأنه، يدفعه تعلقه بهم، وحنان خفيّ، وحب عجيب لمواصلة السير مع زوجته وولده.. لكنّ الشقّة بعدت، والقافلة أغذت سيرها، وآن لحارثة أن يودّع الوليد وأمّه، لكن شعور قلق وخوف عليهم، وحزن راح يراوده، مما جعله يقف طويلاً مسمرّاً في مكانه، مكتفياً بأن يلوح لهما بيديه حتى غابا عن بصره، وأحسّ وقتها كأن قلبه لم يعد في مكانه المعهود؛ كأنه رحل مع الراحلين..!!

ومكثت سعدى في قومها ما شاء الله لها أن تمكث.. وذات يوم فوجئ الحيّ، حي بني معن، بإحدى القبائل المناوئة له، فأغارت خيلهم خيل بني



بكيّت على زيد ولم أدر ما فعل
أحيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل؟
فوالله ما أدري، وإن كنت سائلاً
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل؟
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة؟
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وان هبّت الأرواح هيّجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه، وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي
وكل أمرئ فان وإن غره الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كليهما
وأوصي يزيداً ثم من بعدهم جبل

ويعني بجبل: جبلة بن حارثة
أخا زيد، وكان أكبر من زيد،
ويعني بيزيد، كعباً أخا زيد
لأمه و ابن عمه، وهو يزيد بن
كعب بن شراحيل..

في سوق عكاظ

وعندما اختطف قبيلة بني
القين المغيرة على بني معن
نصرها، وعادت حاملة أسراها،
وافوا بهم سوق عكاظ التي
كانت منعقدة آنئذ، فعرضوا
زيداً للبيع مع رفاقه في الأسر،
ووقع الطفل زيد في يد حكيم
بن حزام بن خويلد بن أسد بن
عبد العزى، الذي اشتراه لعمته
خديجة بنت خويلد بأربعمائة
درهم... وفي رواية أن حكيم
بن حزام بن خويلد قدم من
الشام برقيق فيهم زيد بن
حارثة؛ فدخلت عليه عمته

خديجة بنت خويلد، فقال لها:
اختاري يا عمّة أي هؤلاء
الغلمان شئت فهو لك، فاخترت
زيداً، فأخذته، وكانت يومذاك
زوجة سيد العالمين محمد بن

عبدالله ﷺ فرآه رسول الله ﷺ
عندها، فاستوهبه منها، فوهبته
له، والوحي بعد لم يأت إليه؛
بيد أنه كان يحمل كل الصفات
العظيمة التي أهلته السماء
لها؛ ليكون غداً من الأنبياء
والمرسلين... كان يومئذ
محمد ولم يكن نبياً، ولكنه
كان الصادق الأمين، كان ابن
عبدالله من بني هاشم ولم يكن
رسولاً، إلا أنه كان عظيماً
في أخلاقه، نموذجاً رائعاً في
آدابه، جميلاً في سيرته...
فتقبل هذا الطفل، الذي اختطفته
عصابة، وانتزعتة من أمه
وأبيه، واقتلعتة من روضته

الجميلة الممتعة بقومه وأهله، لتبعية؛ لكن السماء عوضته عن كل ذلك وغيره بالكثير الكثير، فبعد أن وقع بين يدي الصادق الأمين، واحتضنه قلبه المبارك حتى أعتقه من فوره، وراح يمنحه من نفسه العظيمة ومن قلبه الكبير كل عطف وحنان، ومن أدبه وخلقه الرعاية والتربية.

واختار محمداً ﷺ!

وظل أبو زيد وعمه كعب يطويان الأرض طولاً وعرضاً، يبحثان عن غلامهما... ودخلا مكة المكرمة يسألان عن زيد. وجاء في رواية أنه: حج ناس من كلب، فرأوا زيدا، فعرفهم وعرفوه، ونقلوا إليه لوعة والديه... وحملهم زيد سلامه وحنانه وشوقه لأمه

وأبيه، وقال للحجاج من قومه: أخبروا أبي أنني هنا مع أكرم والد.

ثم قال لهم: أبلغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي، وكانت أبياته من الطويل:

أحن إلى قومي وإن كنت نائي
فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر
فإني بحمد الله في خير أسرة

كرام معد كابراً بعد كابر
تقول الرواية: فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال: ابني ورب الكعبة؛ ووصفوا له موضعه، وعند من هو؛ فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، وقدما مكة، فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا بن عبدالله، يا بن

قال: نعم.

قال: من هما؟

وكأني بزيد وهو ينظر إلى أبيه، وقد اغرورقت عيناه بالدموع.

وقال: هذا أبي، وهذا عمي.

قال صلى الله عليه وآله: فأنا من قد علمت، ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما.

وهنا أيضاً وكأني أرى زيداً وهو ينظر إلى هنا حيث الوجه المتألق والمشرق لنبي الرحمة ورسولها، وينظر هناك إلى حيث وجه أبيه وعمه... وساد الموقف صمت أعظم من صمت القبور، وقد وجفت القلوب من حولهم، وتحيرت النفوس... كل هذا أمام علامة استفهام كبيرة، وكلمة فصل أعظم، واختيار أصعب، يتمحور حول «فاخترني أو اخترهما»

عبدالمطلب، يا بن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، وعند بيته، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جنناك في ابتياع عبدك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فداءه، فإننا سنرفع لك في الفداء.

قال: من هو؟

قالوا: زيد بن حارثة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهلا غير ذلك؟!

قالوا: ما هو؟

قال: أدعوه، فخيره، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني، فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً.

قالا: قد زدتنا على النصف وأحسننت.

فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء؟

إنه اختيار الحياة والحرية بمعناهما الأعظم والأوسع والأجل؛ ذكر في الدنيا، وخلود في الآخرة.

قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم.

قالها زيد صريحة لا لبس فيها ولا غموض؛ اختارك أنت، فأنت أفضل من أبي وأمي والناس أجمعين.

فقالا: ويحك يا زيد! أختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟!

قال: نعم إنني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، أنت الأب والعم!

وفي رواية أنه قال له رسول الله ﷺ: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع

أبيك».

فقال: بل أقيم عندك.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: «يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني»؛ فدعي زيد بن محمد.

فلما رأى أبوه وعمه الخلق الرفيع لمحمد بن عبدالله وأدبه العالي، وموقف زيد وتعلقه بمحمد ﷺ طابت أنفسهما، فانصرفا مطمئنين.

وأصبح زيداً أثيراً لدى رسول الله ﷺ أي يحبه ويؤثره على نفسه، فأعتقه، وغدا بحق حب رسول الله ﷺ ومولاه؛ ولم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه.

وتهلل وجه حارثة الذي لم يكن يتوقع كل هذا السماح

وقال: «لقد أنصفتنا، وزدتنا عن النصف».

وإذا بزید فی أعظم بیت!

إنه بيت من أجل بيوت قريش وبني هاشم، وشاءت السماء أن يكون بيت وحي ونبوة ورسالة، بيت أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه.. فكيف لا يكون من أفضل وأعظم البيوت؟! كان ذلك

حين نديت عينا رسول الله ﷺ بدموع شاكرة وحانية، وهو يمسك بيد زيد، وخرج به إلى فناء الكعبة أو إلى الحجر في بيت الله الحرام، حيث قريش مجتمعة هناك، فقال: «يا من حضر! اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه»، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما. ٤ وكاد قلب حارثة يطير

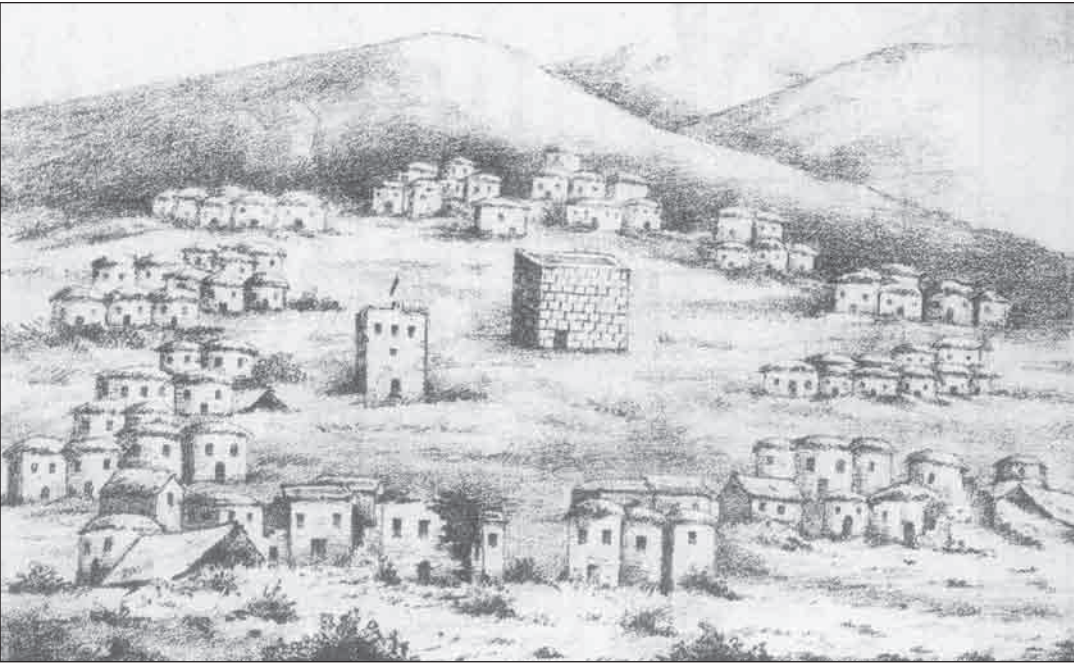
من الفرح.. فابنه لم يعد حراً فحسب، بل وابناً للرجل الذي تسميه قريش الصادق الأمين سليل بني هاشم، وموضع حفاوة مكة كلها، والعالمين فيما بعد! وعاد الأب والعم إلى قومهما مطمئنين على ولدهما والذي تركاه في مكة، آمناً معافى، بعد أن كان أبوه لا يدري: أغاله السهل، أم غاله الجبل..!! تبني الرسول زيدا.. وصار لا يعرف في مكة كلها إلا باسمه هذا زيد بن محمد.

لم يكن زيد يعلم أنه قدر له أن يكون في بيت رباني أعدته السماء؛ ليكون هذا البيت قدوة للعالمين، في بيت النبوة والرسالة، والوحي السماوي في رواحه ومجيئه يبلغ الرسول ﷺ بما تريده السماء منه، بآياتها القرآنية،

وأحكامها وشرائعها وآدابها؛
وزيد في هكذا جوّ تربي ونشأ،
فما أعظمها من تربية وأجلّها
من نشأة!

إسلامه

ما إن من الله سبحانه على
عظيم، وولجه بروحه ووجدانه،
وأحب الله تعالى ورسوله حباً
كبيراً واعياً، وراحت روحه
تنشدُّ لرسول الله ﷺ وتقترن
به أكثر فأكثر، حتى حظي
بثقة رسول الله ﷺ فلا يبعثه
في جيش ولا في جماعة - كما



الناس بالدين الحنيف، حتى
انشرح صدر زيد للإسلام بعد
الإمام علي عليه السلام فدخله بإخلاص
ذكرنا - إلا جعله أميراً على من
معه، وهذا جزء من إكرامه ﷺ
له وسيأتينا مزيد.

مما ورد في إسلامه

* وأظهر علي عليه السلام وزيد بن حارثة إسلامهما، فكبر ذلك على قريش، وكان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد زوجته، ثم كان أول ذكر آمن به علي عليه السلام وهو يومئذ ابن عشر سنين، ثم زيد بن حارثة.

* عن علي عليه السلام قال: أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب. °

زيد بن محمد ثم زيد بن حارثة!
لما اختار زيد البقاء مع محمد صلى الله عليه وسلم فصار من يومها يدعى زيد بن محمد تعظيماً له وتكريماً .. ولما جاء الإسلام و نزل قوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ

لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ... ﴿٦﴾

عاد اسمه إليه امتثالاً وتلبيةً لهذه الآية، وقال زيد حينئذ: أنا زيد بن حارثة، وهكذا دعي الأديعاء إلى آبائهم، ومنهم المقداد بن عمرو، فقد كان يقال له قبل ذلك: المقداد بن الأسود، وكان الأسود بن عبد يغوث الزهري قد تنبأه في الجاهلية، إلا أنّ هناك من يقول: إنّ المقداد بقي يحمل اللقب نفسه (الأسود) وكذا سالم.

فقد غلب عليهما اسم التبني فلايكاد يعرف كل منهما إلا به؛ فهذا المقداد لما نزلت الآية قال: أنا ابن عمرو، ومع ذلك بقي الاطلاق عليه: المقداد بن الأسود؛ ولم يسمع فيمن مضى من عصي مُطلق ذلك عليه وإن كان متعمداً؛ وكذلك سالم مولى أبي حذيفة، كان يدعى

لأبي حذيفة؛ وغير هؤلاء ممن تُبْنِي وَاَنْتُسِبُ لغير أبيه وشهر بذلك وغلب عليه؛ وذلك بخلاف الحال في زيد بن حارثة، فإنه لا يجوز أن يقال فيه زيد بن محمد، فإن قاله أحد متعمداً عصى لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي فعليكم الجناح؛ ولذلك قال بعده: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي «غفوراً» للعمد، و «رحيماً» برفع اسم الخطأ.^٧

زواجه

ظهر مما سبق أن هذا الصحابي قد حظي بمنزلة كبيرة عند رسول الله ﷺ حين راحت روحه تقترب من روحه، فاحتل مكاناً رفيعاً في قلب من هو رحمة للعالمين، لهذا تراه ﷺ هو المبادر بنفسه

لقضاء حوائج هذا الصحابي، فبعد أن علمه الإسلام ورباه عليه ليحيا في دنياه وآخرته، بادر إلى زواجه.

أولاً ، بأَمِ أَيْمَنَ

وأَمَّ أَيْمَنَ هذه التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن».

اسمها، بركة بنت ثعلبة بن عمر بن حصن بن مالك بن عمر النعمان الحبشية وغلبت عليها كنيته أم أيمن.

وإذا ما عرفنا ولو شيئاً عن هذه المرأة ومواقفها النبيلة من رسول الله ﷺ وهو إذ كان طفلاً يحبو فنبياً ورسولاً، فإننا نعرف قيمة العمل الذي قام به رسول الله ﷺ لهذا الصحابي، وهو دليل على مكانته الكبيرة

عنده صلى الله عليه وآله ... وهذا يدعوننا إلى الحديث قليلاً عن أم أيمن المرأة الصحابية المؤمنة الصالحة، التي افتتح الأصفهاني ترجمة شيء من حياتها بذكر مناقب لها، وهو يتحدث في باب: (ذكر النساء الصالحات) فيقول: ومنهنَّ أمُّ أيمن المهاجرة الماشية، الصائمة الطاوية، الناحبة الباكية، سقيت من غير راوية، شربة سماوية كانت لها شافية كافية..^٨

جاءت أم أيمن من الحبشة مع أصحاب الفيل في جيش أبرهة، الذي أتى مكة غازياً، لتحطيم الكعبة المشرفة وتحويل أنظار الناس من الكعبة إلى كنيسة بناها في اليمن؛ وسمّاها باسم ملك الحبشة، وقد هيأ لها أسباب الفخامة، أتى هذا الجيش وكان معه فيل ضخم؛

ليثير الرعب والفرع في نفوس أهل مكة... أرسل الله تعالى عليهم طيراً من السماء، ألقت عليهم بحجارة من سجيل كما جاءت به سورة الفيل في القرآن الكريم:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

أطاحت بكيدهم، بددت شملهم، فرقّت جمعهم، قتل منهم من قتل، فرّ منهم من فرّ. فوقعت هذه المرأة في الأسر، عاشت في بيت عبدالمطلب جد النبي صلى الله عليه وآله وهبها بعد ذلك لابنه عبدالله، ومن بعده إلى ولده خير الأنام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله يقال: إنه ورثها من أبيه وورث

خمسة جمال أوراك، وكذلك قطعاً من الغنم، وأم أيمن هذه هي التي كانت مع آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ حين ذهبت إلى المدينة، لزيارة بني النجار أحوال جده عبدالمطلب، ولما عادت إلى مكة مرضت آمنة في الطريق، وتوفيت في الأبواء، فعادت أم أيمن بالنبي ﷺ وأصبحت حاضنته، وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها، كما غمره جده عبدالمطلب بحبه، وعوضه الله تعالى بحنان جده وأم أيمن عن حنان الوالدين، وأحبه عبدالمطلب حباً عظيماً، وكثيراً ما كان يوصي الحاضنة أم أيمن قائلاً لها:

يابركة، لاتغفلي عن ابني، فإنني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وأن أهل الكتاب

يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة.

وبعد وفاة عبدالمطلب حزن عليه رسول الله ﷺ حزناً كما روت ذلك أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبدالمطلب.

عاشت الفتاة الحبشية حياة كريمة في مكة؛ لأمانتها ووفائها وخلقها الكريم وسيرتها الحسنة وسلوكها المستقيم؛ ولما جاء الإسلام ازدادت مكانتها سموً وارتفاعاً، فكانت في طليعة السابقين إلى الدين الجديد، وهي مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، التي حظيت بمنزلة عالية في قلب رسول الله ﷺ، فقد كان الرسول ﷺ يحسن معاملتها، ويناديها يا أمه، وشب النبي ﷺ وهو يقدر أم أيمن ويكرمها؛

التي حدثت والوقائع ... نعم حظيت أم أيمن بمنزلة عالية عند الرسول ﷺ وأكرمها أيما إكرام.

وقد روي أن النبي ﷺ كان يقول لأم أيمن: «يا أم»، ويقول: «هذه بقية أهل بيتي»، «أم أيمن أُمِّي، بعد أُمِّي»، «إنها من أهل الجنة».

وهذا إن دل فإنما يدل على مكانة أم أيمن عند رسول الله ﷺ وحبه الشديد لها، وقد عدها من أهل بيته؛ عندما قال رسول الله ﷺ فيها: «هذه بقية أهل بيتي»!!

وقد عرفت بحبها له ولأهل بيته ﷺ وعدت من اللواتي كن برفقة سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله ﷺ أسماء بنت يزيد الأنصاري، وأم سلمة، وفضة، ومعاذة أم سعد بن معاذ،

لأنها كانت رضي الله عنها تقوم على أموره وشؤونه، وترعاه رعاية حسنة، وقد كان لإكرامه ﷺ الأثر الكبير فيما تركه من بصمات على سيرتها واستقامتها، ولما تزوج الرسول ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أعتق أم أيمن، ويقال إنَّ عبد الله والد الرسول هو الذي أعتقها، لقد كانت أم أيمن في طليعة المصدقين برسول الله ﷺ المؤمنين برسالاته، فقد أسلمت رضي الله عنها في الأيام الأولى من البعثة النبوية، وغدت صحابية مباركة، وفقها الله تعالى أن ترى النبي ﷺ وترعاه طفلاً صغيراً، وترافقه نبياً مرسلًا، عاشت مراحل حياته كلها، ومراحل النبوة والرسالة، وعاصرت العديد من الأحداث

عليك بما قال رسول الله ﷺ
أنشدك بالله ألسنت تعلم أن
رسول الله ﷺ قال: «أمّ أيمن
امرأة من أهل الجنة».
فقال: بلى.
فقالت: فأشهد أن الله عزوجل

وصفية بنت عبدالمطلب، وأم
أيمن، ونساء مخلصات من
نساء المهاجرين والأنصار،
وكانت ترعاها وتقوم بشؤونها،
وتقف بجانبها فيما تعرضت
له .. حتى شهدت لفاطمة



أوحى إلى رسول الله ﷺ: ﴿وَأْتِ
ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فجعل فداً لها
طعمة بأمر الله.
وكانت أمّ أيمن أبرز من
حضرت وفاة الزهراء ﷺ من
النساء.^٩

الزهراء ﷺ في قضية فدك
المعروفة، فقبلت شهادتها ثم
ردّت بدعوى أنها أعجمية ...
ومما ذكر أنها قالت للخليفة
الأول:
لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج

زواجها

تزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي بمكة، وولدت له: أيمن، ولأيمن هجرة وجهاد، واستشهد في معركة حنين، فغدت أمًّا للشهيد.

وله صلى الله عليه وسلم قول رائع فيها، وذلك لما مات زوجها الخزرجي وانتهت عدتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن»، فحظي بها زيد بن حارثة عندما زوجه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له أسامة بن زيد.

هجرتها

كانت من المهاجرات الأول، هاجرت مرتين الأولى إلى الحبشة «وطنها الأول» ثم عادت لتهاجر ثانيةً من مكة

إلى المدينة المنورة بمفردها سيراً على الأقدام، وفي خبر: لما هاجرت أم أيمن أمست بمنطقة جرداء لا زرع بها ولا ماء وليس معها زاد، فأصابها عطش شديد، واقتربت من الهلاك؛ هبط عليها دلو من السماء فيه ماء شربت منه وارتوت فقالت: ما أصابني بعد ذلك عطش؛ وقد صامت وسافرت في أيام اشتد فيها الحر، فما شعرت بالعطش بعدها.

ومما رواه ابن سعد عن عثمان بن القاسم أنه قال: لما هاجرت أم أيمن... فعطشت، وليس معها ماء؛ وهي صائمة، فأجدها العطش، فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فأخذته، فشربته حتى رويت؛ فكانت تقول: ما

أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشت؛ وفي خبر لقد أكرم الله سبحانه أمّ أيمن وهي صائمة فقد أصابها العطش وهي لم يكن معها ماء فدلي عليها من السماء ماء فرويت.

وفي خبر قالت: ... إذ أنا بحفيف "دون الصوت" شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي، فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض، فدنا مني حتى إذا كان حيث استمكن منه، تناولته فشربت منه حتى رويت، فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش، وما عطشت بعدها.

فهذا يدل على كرم الله على أمّ أيمن، وعلى منزلتها العالية، وفوزها بمحبة الله والرسول،

وهذا كله يدل على رفق الله بعباده، وسعة رحمة الخالق بهم. ١٠

من رواياتها

وقد روت عن النبي ﷺ العديد من الأحاديث:

منها، عن أم أيمن رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ أوصى بعض أهل بيته فقال: «لا تشرك بالله وإن عذبت وإن حرقت، وأطع ربك ووالديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء فاخرج».

«ولا تترك الصلاة متعمداً فإنه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله؛ إياك والخمر فإنها مفتاح كل شر؛ وإياك والمعصية فإنها تسخط الله؛ لا تنازعن الأمر أهله وإن رأيت أنه لك؛ لا تفر من الزحف وإن أصاب الناس

ورسول الله ﷺ عندك؟»، فقالت: مالي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لست أبكي ولكنها رحمة»؛ ثم قال رسول الله ﷺ: «المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عزّوجل».

وقالت أم أيمن رضي الله عنها: قام النبي ﷺ من الليل إلى فخارة من جانب البيت فبال فيها فقامت من الليل وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: «يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة فاهريقي ما فيها»، قلت: قد والله شربت ما فيها؛ قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «أما أنك لا يفجع بطنك بعده أبداً».

موت وأنت فيهم فاثبت؛ أنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عصاك عنهم، وأخفهم في الله عزّوجل».

وعن أم أيمن قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يقطع السارق إلا في حجة»، وقومت على عهد رسول الله ﷺ ديناراً أو عشرة دراهم.

مواقفها

من المواقف الرائعة والتي حدثت بين أم أيمن والرسول ﷺ أنه لما حضرت وفاة بنت لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسول الله ﷺ فضعها إلى صدره ثم وضع يده عليها فقضت، وهي بين يدي رسول الله ﷺ فبكت أم أيمن، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم أيمن أتبكين

جهادها

ورغم كبر سن أم أيمن، فقد أبت إلا أن تشارك في الجهاد مع رسول الله ﷺ ففي غزوة أحد خرجت مع النساء، وكانت مهمتها مداواة الجرحى والاعتناء بهم، وسقاية العطشى من المجاهدين؛ وكانت تحثو التراب في وجوه الذين فرّوا من المعركة، وتقول لبعضهم: «هاك المغزل وهات سيفك».

وفي غزوة خيبر خرجت مع رسول الله ﷺ عشرون امرأة كان من بينهن أم أيمن رضي الله عنها، وأما ابنها أيمن فقد تخلف لمرض فرسه، وكانت أمه قد وصفته بالجبن؛ وشاركت وابنها أيمن في معركة حنين.

وفي سرية مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة، قتل

زيد بن حارثة رضي الله عنه، فتلقت أم أيمن نبأ استشهاد زوجها وهي صابرة محتسبة. ثم تأتي بعد ذلك غزوة حنين في سنة ثمان للهجرة، التي شاركت وابنها أيمن فيها، وتلقت نبأ استشهاد ابنها في هذه المعركة بصبر وتسليم لقضاء الله وقدره؛ واحتسبت كلاً من زوجها زيد وابنها أيمن عند الله تعالى، ابتغاء مرضاته، ومرضاة رسوله ﷺ!

وفاة رسول الله ﷺ

ومرت الأيام سريعاً، وتوفي الرسول ﷺ وتسرب النبا الفادح، وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها، فقامت أم أيمن حزينة باكية على فراق رسول الله ﷺ. ففي خبر أن أم أيمن بكت

يوماً، في أول عهد عثمان، ودفنت في المدينة المنورة، بعد أن بذلت هذه الصحابية الصالحة أقصى ما تستطيع في خدمة الإسلام ورسوله ﷺ

فرضوان الله تعالى عليها. ١٢

* * *

وثانياً بزینب

قلت فيما سبق: وهذه المرة نقف عند صحابي جليل، ما إن يذكر حتى تُذكر معه امرأتان مؤمنتان صالحتان، الأولى: أمّ أيمن، التي كان لها دور متميز في الدعوة إلى الله تعالى؛ وأوجزنا الحديث عنها.

فيما الثانية: زينب بنت جحش، التي شاءت السماء أن تكون مع زيد شريكة، ضمن مشروعها التغيير في الساحة المسلمة يومذاك.

حين مات النبي ﷺ فقيل لها: أتبكين؟ قالت: والله، لقد علمت أنه سيموت؛ ولكني إنما أبكي على الوحي إذ انقطع عنا من السماء.

وإذا سئلت ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله؛ فكانت تجيب: ما أبكي لأني لا أعلم أنّ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أنّ الوحي قد انقطع من السماء، فتبكي من حولها، وكذلك هذا القول يدل على حبّها الشديد وتعلقها بالنبي ﷺ والوحي.

وفاتها رضوان الله تعالى عليها

اختلف في تاريخ وفاتها فقيل: توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أو ستة أشهر، وقيل: توفيت بعد وفاة عمر بن الخطاب بعشرين

فبعد أن وقفت عند أمّ أيمن، ها أنذا أقف عند زينب رضوان الله تعالى عليهما، ولو قليلاً، فقد كان أملي أن أفرد لأمّ المؤمنين مقالة، لما في حياتها من حدث كبير مازال حيّاً، رغم أنه تجاوز عمره ١٤٢٠ سنة هجرية؛ ولما حمله من أهمية تشريعية تغييرية خطيرة وكبيرة؛ لتميت أمر التبني وآثاره...، وهو من التجذر في الساحة يومذاك والخطورة بدرجة ما عاد ينفع معها إلا الكلام المقرون بالفعل، وفعل من؟ فعل يتولاه رسول الله ﷺ بنفسه؛ هذا الأمر الذي ترك وقته ضجّة خطيرة في الساحة، ومازال موضوعاً تتناوله خطب وأقلام من يريد النيل من الإسلام وكرامة رسوله ﷺ وقد تبعهم ضعاف

الدين ومرضى القلوب، والذين ماقدروا الله حق قدره... فما عرفوا عظمته وحكمته في خلقه وتشريعاته.. وفعلًا - وأنا أراجع ما كتب عن الموضوع هذا، وما يحتاجه من حديث - رأيت من المناسب أن أفرد له مقالة خاصة، فلعلها تفي.. مختصراً قولِي هنا؛ فهي:

زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن مرة بن كثير بن غنم بن دوران بن أسد بن خزيمة، كان اسمها أولاً برة، فسامها النبي ﷺ زينب؛ وتكنى بأُمّ الحكم.

وأُمّها أميمة بنت عبدالمطلب عمّة النبي، من أخوالها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، الملقب بأسد الله وسيد الشهداء في غزوة أحد، والعباس بن عبدالمطلب، وخالتها صفية

إسلامها

أخلصت زينب إسلامها الذي أسرعت في اعتناقه، وهاجرت إلى المدينة المنورة مع أخواتها المهاجرات وإخوانها المهاجرين، الذين تركوا كل شيء في مكة وهاجروا إلى يثرب، المدينة فيما بعد، فأكرمهم الأنصار وقاسموهم منازلهم وناصفوهم أموالهم وديارهم.

زينب وآيتان قرآنيتان:

- فبحسب أسباب النزول، كان وقت نزول آية الحجاب، - الأحزاب ٥٣ - في صبيحة عرس رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش الأسدية التي تولت السماء تزويجها، في ذي القعدة من السنة الرابعة هجرية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا

بنت عبدالمطلب الهاشمية، أم الزبير بن العوام الأسدي. ولها أخوان هما عبدالله بن جحش الأسدي، صاحب أول راية عقدت في الإسلام، من شهداء معركة أحد، والآخر أبوأحمد، واسمه عبد بن جحش الأعمى، وهو أحد السابقين ومن المهاجرين إلى المدينة.

ولدت السيدة زينب في مكة المكرمة قبل الهجرة بأكثر من ثلاثين سنة، وقيل: ولدت قبل الهجرة بسبع عشرة سنة، وقد نشأت السيدة زينب بنت جحش في بيت شرف ونسب وحسب، وهي متمسكة بنسبها، ومعتزة بشرف أسرتها، وكثيراً ما كانت تفتخر بأصلها، وقد قالت مرة: أنا سيدة أبناء عبد شمس!

يُيُوتَ النَّبِيَّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ
إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ
إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي
مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ
أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ
تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا* ١٣.

لما بنى رسول الله ﷺ بزینب
وأولم عليها، قال أنس: أولم
عليها بتمر وسويق وذبح
شاة، وبعثت إليه أمي أم سليم
بحيس في تور من حجارة،
فأمرني رسول الله ﷺ أن أدعو
أصحابه إلى الطعام؛ فدعوتهم
فجعل القوم يجيئون ويأكلون
ويخرجون، ثم يجيء القوم
فيأكلون ويخرجون، قلت يا

نبي الله قد دعوت حتى ما أجد
أحداً أَدعوه؛ فقال: «ارفعوا
طعامكم» فرفعوا طعامهم
وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر
يتحدثون في البيت، فأطالوا
المكث؛ فقال ﷺ: وقمت معه
لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ
حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد
خرجوا، فرجع ورجعت معه،
فإذا هم جلوس مكانهم، فنزلت
الآية ١٤.

- وفي قصة زواجا من زيد
أولاً ومن رسول الله ﷺ ثانياً،
يحكي لنا المقطع القرآني ٣٦
من سورة الأحزاب:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا
قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ
لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
مُبِينًا* ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقْدُورًا * * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * ١٥

أموراً ذات أهمية بالغة كان هذا الصحابي الجليل محوراً فيها؛ بزواجه من زينب بنت جحش وما وقع من فراق بينهما وزواج رسول الله ﷺ بها

بعد انتهاء عدة طلاقها من قبل زيد، الذي تبناه رسول الله ﷺ وما أحدث هذا المشروع من بدايته حتى نهايته من ضجة في الوسط الاجتماعي لا فقط يومذاك، بل استمر الكلام حوله حتى يومنا هذا بين مشكك ومثير للشبهة، ولا يخلو هذا الموقف من اتهام لرسول الله ﷺ وطعن؛ وهو ما نشير له بما يناسب المقالة هذه.

لما بلغ هذا الفتى أشده واستوى، رغب رسول الله ﷺ أن يزيد في تكريمه، ويبالغ في ذلك حين يزوجه بامرأة فاضلة؛ لتكون له عوناً وسنداً، فكانت ابنة عمته أميمة بنت عبدالمطلب وهي زينب بنت جحش محل اختياره ﷺ فخطبها له مكافأةً له ودليلاً

على رضاه عنه؛ ولكن أخاها عبدالله بن جحش لم يقبل في بادئ الأمر - كما زينب تشاركه رأيه وإبائه وأنفته - أن يكون زيد زوجاً لها؛ لنسبهما الكريم، ولأن زيدا لم يكن نسبه قد صرح أي خالص؛ ويبدو أن زينب بنت جحش قد قبلت أخيراً هذا الزواج تحت وطأة حيائها أن ترفض شفاعة رسول الله ﷺ أو ترغب بنفسها عن نفسه، والتزاماً منها بقوله تعالى في الآية ٣٦ من سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾. الذي نزل فيها وفي أخيها عبدالله بن جحش الممانع لهذا الزواج في أول الأمر..

يقول صاحب مجمع البيان: نزلت في زينب بنت جحش الأسدية، وكانت بنت أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد، أبت وأنكرت، وقالت: أنا ابنة عمك فلم أكن لأفعل، وكذلك قال أخوها عبدالله بن جحش؛ فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، يعني عبدالله بن جحش، وأخته زينب، فلما نزلت الآية قالت: رضيت يا رسول الله، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل بها، وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً مهراً، وخماراً،

وملحفةً، ودرعاً، وإزاراً،
وخمسين مداً من طعام،
وثلاثين صاعاً من تمر؛ عن
ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وقالت زينب: خطبني عدة
من قريش، فبعثت أختي حمنة
بنت جحش إلى رسول الله ﷺ
أستشيره، فأشار بزيد،
فغضبت أختي وقالت: تزوج
بنت عمك مولاك ثم أعلمتني،
فغضبت أشد من غضبها،
فنزلت الآية، فأرسلت إلى
رسول الله ﷺ وقلت: زوّجني
ممن شئت، فزوّجني من
زيد. ١٦

فكان هذا قضاء الله تعالى
رضي به أخوها عبدالله
وخضعت له زينب، ولعل كلاً
من زيد وزينب يكونان زوجين
هانئين، ويسعدان بزواج ولو
إلى حين، إلا أنّ هذه الحياة قد

تعثرت، ووهنت العلاقة بينهما،
وفترت حتى انتهت بفراقهما..
إنها إرادة السماء شاءت أن
تسير الأمور هكذا إبطالاً
لشريعة أو تقليد تعارفوا عليه،
وإنهاءً لأوهام عشعشت في
أوساطهم، وسناً لشريعة،
وتوضيحاً لحكم كانت الأمة
بحاجة إليه، و لِحَكَمِ تَكْفُلِ
القرآن العزيز الحديث عنها؛
فخلد ذكر هذا الزواج وما
ترتب عليه في الكتاب العزيز،
ولاننسى أيضاً أنه الزواج
الوحيد الذي ذكره القرآن
الكريم، فقد زوجت زينب من
زيد بآية قرآنية، وبعده زوجت
من نبي الرحمة محمد ﷺ بآية
قرآنية أخرى، مما جعل زينب
تفتخر، وحق لها أن تفتخر على
سائر نساء النبي ﷺ وتقول:
زوجني الله من النبي ﷺ وأنتنّ

إنما زوجكنّ أولياؤكنّ !

وفي رواية أنها قالت للنبي ﷺ :
: إني لأدل عليك بثلاث ما من
نسائك امرأة تدل بهن: جدي
وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله
في السماء، وأنّ السفير لي
جبرائيل عليه السلام.

لقد حمل هذا المقطع القرآني
قصة هذا الزواج بين زيد بن
حارثة بدايةً ونهايةً، مجيباً
وموضحاً، خصوصاً وقد
ذهب الذين في قلوبهم مرض
يرجفون المدينة: كيف يتزوج
محمد مطلقاً ابنه زيد؟

فأجابهم القرآن مفرّقا بين
الأدعياء والأبناء.. بين التبني
والبثوة، ومقررراً إلغاء عادة
التبني، ومعلناً: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ
أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾^{١٧} الذين لم
يلدهم، وفي هذا بيان أنه ليس
بأب لزيد فتحرم عليه زوجته،

فإنّ تحريم زوجة الابن معلق
بثبوت النسب، فمن لا نسب
له لا حرمة لامرأته؛ ولهذا
أشار إليهم فقال من رجالكم
وقد ولد ﷺ له أولاد ذكور ...
﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ أي ولكن
رسول الله لا يترك ما أباحه الله

تعالى بقول الجهال^{١٨}.

لقد صار هذا موضوعاً
تناولته الأقلام المخلصة
لدينها مبينةً وموضحةً له،
وراحت ترد شبهات أثارها
نفوس معادية، وأخرى ضعف
إيمانها أو قل علمها؛ رددتها
وقد تكون تأثرت بها بشكل
أو بآخر... إنها قصة لم
تنجو من تساؤلات وشبهات
أثيرت من هنا وهناك متخذةً
من الإسرائيليات والأحاديث
الموضوعة أساساً لها،
والمؤسف المؤلم أنّ هناك

بعض المفسرين ذكروا روايات
أقل ما يقال فيها إنها ضعيفة
ولسيرته الشريفة التي شهدت
بها الآيات والروايات والمواقف
العديدة؛ ولم أقف على مبرر
تحت عنوان سبب النزول، وقد

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ
لَمَّا نَزَّلْنَا آيَاتِنَا
فَعَسَىٰ أَعْتَابُكَ
وَأَعْيُنُنَا
وَنُحُوتُنَا
حَافِيَةً
فَلْيَسِّرْ لِلرَّسُولِ
الْوَسِيلَ
وَمَا يَشَاءُ
اللَّهُ يَفْعَلْ
بِشَأْنِهِ
مَا يَشَاءُ
وَمَا يَشَاءُ
اللَّهُ يَفْعَلْ
بِشَأْنِهِ
مَا يَشَاءُ

حملت هذه الأخبار والأحاديث
المختلفة إساءات واضحة
للنبي ﷺ ولطهارته ولخلقه
الكريم الذي وصفته السماء:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ١٩

معقول لهم في ذكر مثل هذه
الأسباب المؤسسة على خبر
ضعيف، ورواية أضعف، وخبر
موضوع، ورواية مختلفة، تجد
اليد الإسرائيلية أو المعادية

والمعرضة واضحة فيها.

وأكتفي هنا أولاً بذكر ما روي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: «أعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك؛ قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه».

وثانياً بما ذكره العلامة السيد الطباطبائي في الميزان: عن العيون في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أصحاب الملل في حديث يجيب فيه عن مسألة علي بن الجهم في عصمة الأنبياء.

قال: وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عَرَّفَ نَبِيَهُ صلى الله عليه وآله أَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي الآخِرَةِ، وَأَنْهَنَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِحْدَى مِنْ سَمِيَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَخْفَى صلى الله عليه وآله اسْمَهَا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدِهِ، لِكَيْلَا يَقُولَ أَحَدٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: إِنَّهُ قَالَ فِي امْرَأَةٍ فِي بَيْتِ رَجُلٍ: أَنَّهَا أَحَدُ أَزْوَاجِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَشِيَ قَوْلَ الْمُنَافِقِينَ.

قال الله عز وجل: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ يعني في نفسك الحديث.

أقول: وروي ما يقرب منه فيه عنه عليه السلام في جواب مسألة المأمون عنه في عصمة الأنبياء.

وفي المجمع في قوله تعالى:

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾
 قيل: إنَّ الذي أخفاه في نفسه هو أنَّ الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأنَّ زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال له: أريد أن أطلق زينب؛ قال ﷺ له: «أمسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لم قلت: أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك»؟

وروي ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام ٢٠.

وثالثاً بما قاله الخازن في تفسير آية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وأصح ما في هذا الباب ما روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني زين العابدين علي بن الحسين، قال: ما يقول الحسن في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ

مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾؟

قلت: يقول: لما جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب؛ أعجبه ذلك، وقال أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «ليس كذلك، فإنَّ الله عزَّ وجل، قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأنَّ زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلقها قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله تعالى، وقال: لِمَ قلت أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك»؟

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة، لأنَّ الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فلو كان

الذي أضمره رسول الله ﷺ
محبتها أو إرادة طلاقها لكان
يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن
يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا
يظهره، فدل على أنه إنما عوتب
على إخفاء ما أعلمه الله أنها
ستكون زوجته وإنما أخفى
ذلك استحياءً أن يخبر زيدا
أنّ التي تحتك وفي نكاحك
ستكون زوجتي، وهذا قول
حسن مرضي، وكم من شيء
يتحفظ منه الإنسان ويستحي
من اطلاع الناس عليه، وهو
في نفسه مباح متسع، وحلال
مطلق لا مقال فيه، ولا عيب
عند الله، وربما كان الدخول في
ذلك المباح سلماً إلى حصول
واجبات يعظم أثرها في الدين،
هو إنما جعل الله طلاق زيد لها،
وتزويج النبي ﷺ إياها لإزالة
حرمة التبني وإبطال سنته،

كما قال الله تعالى. ٢١.

وكان حسناً ما قاله ابن
كثير في تفسيره عند قوله
تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ
مُبْدِيهِ﴾ ذكر ابن حاتم وابن
جرير هنا آثاراً من بعض
السلف رضي الله عنهم أحببنا
أن نضرب عنها صفحاً لعدم
صحتها...

وياليت غيره قد حذى حذوه
لإماتة مثل هذه الآثار.
وقال ابن حجر عن هذه
الروايات: لا ينبغي التشاغل
بها.

فإضافةً إلى ما ورد في
ترجمة وهب بن منبه،
والحسن البصري، وأقوال
بعض علماء الرجال القادحة
فيهما، فإن كليهما كانا قد
ولدا بعد رسول الله ﷺ بأعوام،
فكيف يرويان عمّا حدث في

عصر رسول الله ﷺ ويرسلانه
إرسالاً ولم يذكر المصدر؟!

ومحور ما جاء به وهب
والحسن البصري: أن
الرسول ﷺ أعجبه جمال زينب
عندما رآها بغتة بلا حجاب،
ورغب في طلاق زيد إياها،
وأخفى ذلك في نفسه. ٢٢

وبيان زيف ذلك: أن زينب
كانت ابنة عمّة النبي ﷺ وليست
بعيدةً عليه، وكان قد رآها قبل
أن يزوّجها من زيد مراراً
وتكراراً، و نزل حكم الحجاب
بعد زواج الرسول ﷺ بزينب،
وقد افتري على الرسول ﷺ
من قال ذلك.

وكل الأمر أنه بعد الهجرة
إلى المدينة خطب زينب ابنة
أميمة ابنة عبدالمطلب عدّة من
أصحاب النبي ﷺ فأرسلت
أخاها إلى النبي ﷺ تستشيره

في أمرها، فقال: فأين هي ممّن
يعلمها كتاب ربّها وسنة نبيّها؟
فسألت: من هو؟ فقال: زيد!

فغضبت، وقالت: تزوّج ابنة
عمّتك مولاك! لست بناكحته! أنا
خير منه حساباً! أنا أيم قومي،
فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾. ٢٣

فرضيت، فزوّجها الرسول ﷺ
من زيد بعد أم أيمن السوداء
الحبشيّة، ولها أسامة بن زيد،
فكانت تعلقو على زيد، وتشتدّ
وتأخذه بلسانها، فكان يشكوها
إلى الرسول ﷺ ويحاول
تطبيقها.

زينب أم المؤمنين

واقترضت مشيئة الله وحكمته،

أن يتزوجها الرسول ﷺ بعد زيد، فعدت أمًّا للمؤمنين، وليُلغى بذلك التَّبَتِّي بين المسلمين، وأشعره الوحي بذلك، فخشى الرسول ﷺ أن يقول الناس: تزوج حليلة ابنه، فكتم الوحي في نفسه وقال لزيد: إتق الله وأمسك عليك زوجك، ولما ضاق زيد ذرعاً بزوجه زينب، طلقها وانقضت عدتها، فنزلت الآيات على الرسول ﷺ مرة واحدة تخبر عما وقع، وتبين حكم المتبني في شريعة الإسلام:

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ... * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾ ٢٤

زيد كان سبباً من أسباب

ذكرت لنزول هذه الآية.

وقال عز اسمه لسائر المؤمنين: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائِكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ...﴾ ٢٥

- ما قاله عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب له مثل يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك، كذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد: أنها نزلت في زيد بن حارثة

اشهدوا أنه ليس ابني؛ فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا أنه ابني» يعني زيداً، فكان يدعى زيد بن محمد، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، فكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها؛ فقال الله سبحانه: ما جعل الله من تدعونه ولداً وهو ثابت النسب من غيركم ولداً لكم.

- وروى سالم عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ٢٦.

وهناك منافع:

لقد أثمرت هذه القصة عن منافع كبيرة، تركت بصماتها

رضي الله عنه.

- وكذا ورد في مجمع البيان: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾ الأُدعياء جمع الدعوي وهو الذي يتبناه الإنسان، بين سبحانه أنه ليس بابن علي الحقيقة؛ ثم يقول: ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبد ود، تبناه النبي ﷺ قبل الوحي، وكان قد وقع عليه السبي، فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ، فلما نبئ رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام، فأسلم فقدم أبو حارثة مكة وأتى أبا طالب وقال: سل ابن أخيك، فإما أن يبيعه وإما أن يعتقه، فلما قال ذلك أبطالب لرسول الله ﷺ قال هو حرّ فليذهب حيث شاء، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة: يا معشر قريش

على الساحة المؤمنة وهي:
أولاً: إلغاء التبني بعد أن
استحكم في واقعهم، وتجذر
في نفوسهم، وكان العرب
يعتقدون أن آثار التبني هو
نفس آثار البنوة الحقيقية، أي
كالابن الحقيقي تماماً من دون
فرق، وتجري عليه حقوقه في
الميراث، وحرمة زوجته على
من تبناه.

ثانياً: زواج بنات الأشراف
من الموالي، بعد أن كان أمراً
كبيراً وعسيراً، حتى إذا اعتقوا
وحرروا؛ فكان زيد وبأمر
من الله تعالى، أول عتيق يتزوج
بعربية في الصميم من قريش،
فيفتح بهذا باباً كان موصداً
أمام إخوانه؛ وأن تكون زينب
باستجابتها أخيراً أول شريفة
تقضي على هذه العادة؛ لتنتقل
بنات الأشراف للزواج من

الموالي.

ثالثاً: اقتضت السماء أن
يكون رسول الله ﷺ - وهو
الأول سيدياً وشرفاً وسيرةً
وفضلاً و.. - هو بنفسه الذي
يبطل عادةً تأصلت فيهم:
حرمة زوجة الابن المتبنى على
من تبناه، فيتزوج المتبنون
ويقترنوا بأزواج أديانهم؛
وقد أشار القرآن الكريم إلى
علة التزويج في الآية الشريفة:
﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا
مِنْهَا وَطَرًا﴾ .. وبنزول: ﴿أَدْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ﴿مَا
كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
...﴾ وبتزوج رسول الله ﷺ
امرأة زيد الذي تبناه من قبل،
انتهت عملياً آثار مشروع
التبني في الواقع الإسلامي،
والساحة المؤمنة، ولم يعد له

أثر كالتوارث، وحرمة زواج المتبني بامرأة من تبناه بعد انفصالهما وانتهاء عدتها، وبالتالي فهو أي المتبني ليست أحكامه كأحكام الولد الصلبي. رابعاً: بيان رسول الله ﷺ

لتبني مشروعاً كبيراً في حياتهم الاجتماعية، وبناء علاقات جديدة بعد أن أطاحت بعادات لا يمكن القضاء عليها بكلمات، دون أن تكون مقترنة بأفعال مؤثرة، ولم يكن هناك



الواضح: «فأين هي ممّن يعلمّها كتاب ربّها وسنة نبيّها»؟ وهو أمر عظيم ينبغي للمسلمين الالتفات إليه والاعتناء به في مثل مشروع الزواج. وهذه الحكم حملتها الآيات

مجال لقلع تلك المفاهيم الخاطئة إلا بالإقدام على عمل أساسي لا مجال للريب ولا للتأويل فيه؛ فكان زواج زيد من زينب أولاً ثم انفصالهما، ليتم زواج النبي ﷺ من زوجة ابنه بالتبني

هو الوسيلة الفضلى لقلع هذا المفهوم الخاطئ من أذهانهم، ولكي يُسقط وإلى الأبد عادة مستحكمة لا تشتت بكلمات؛ وأخيراً كل هذا حدث لضرورة اقتضاها التشريع السماوي وكفى به دليلاً على طهارة هذا الزواج وحكمته العالية، وما يترتب عليه من فوائد جمة لحاضر ومستقبل اجتماعي في الساحة المؤمنة.. نكتفي بهذا القدر أمل أن أوصل الكلام بتفصيل مناسب حول هذا الموضوع والآثار كما قلت في مقالة قادمة بإذنه تعالى عن حياة أم المؤمنين زينب رضوان الله تعالى عليها.

مما قيل فيها:

ووردت فيها أقوال، نكتفي منها بما قالته عائشة: ما رأيت

امراً قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة.

وفاتها:

توفيت أم المؤمنين زينب رضوان الله تعالى عليها التي كانت تعرف بأنها أم المساكين في سنة عشرين هجرية، وهي بنت خمسين؛ وقيل: إنها عاشت ثلاثاً وخمسين سنة، ودفنت بالبقيع في المدينة المنورة. ٢٧

الزواج الثالث: تزوج زيد بأم كلثوم بنت عقبة، وقد جاء في تفسير مجمع البيان أن الآية ٣٦ من الأحزاب، نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال: «قد قبلت» وزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي

هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بفرس له، فقال: تصدق بهذا يا رسول الله، فأعطاه رسول الله ﷺ ابنه أسامة بن زيد بن حارثة، فقال: يا رسول الله! إنما أردت أن أتصدق به، فقال رسول الله ﷺ: «قد قبلت صدقتك».

وختاماً وقع شهيداً!

(مؤتة) مما مثله هذه المعركة، مفاهيم رفيعة تجلّت في سمائها، بعيداً عن التمايز الباطل، وإقراراً لدين جديد يلغي كل الأحكام الفاسدة وتقاليد التعالي والإلغاء، وبعيداً عن التعصب والنظرات الدونية للآخر بسبب الغنى أو الحسب والنسب أو اللون، احتل زيد بن حارثة الإمارة الأولى للجيش الزاحف إلى أرض البلقاء إلى

وأخوها وقالوا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوّجنا عبده فنزلت الآية: عن ابن زيد. ٢٨

* * *

حبه للإنفاق

عرف زيد بأنه كان محباً للإنفاق وكان سباقاً إليه، حتى ورد التالي:

لما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. ٢٩

قال زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ: اللهم، إنك تعلم أنه ليس مال أحب إليّ من فرسي هذه، فتصدق بها للمساكين، فأقاموها للبيع، وكانت تعجب زيداً، فأتى رسول الله ﷺ فقال: اشتريها؟ فنهاه أن يشتريها.

وفي رواية أخرى: لما نزلت

جيش الروم، فيما احتل جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي الإمارة الثانية، وكانت الإمارة الثالثة من نصيب عبدالله بن رواحة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنهم.

إنه أمر رسول الله ﷺ حين وقف يودع جيشه: «عليكم زيد بن حارثة.. فإن أصيب زيد، فجعفر بن أبي طالب.. فإن أصيب جعفر، فعبدالله بن رواحة» على الرغم من فضلهما وشجاعتهما وجسارتتهما، وحسبهما ونسبهما، فقد جعلهما رسول الله ﷺ الأميرين التاليين لزيد بن حارثة، وجعلهما تحت إمرته مادام حياً، فإن استشهد يأتي دور جعفر، فعبدالله بن رواحة! إنها روح الإسلام ونظراته الإنسانية، بعيداً عن اللون

والجنس والأصل.

ففي جمادى الأولى من العام الثامن الهجري، خرج جيش الإسلام إلى الشام، حتى إذا بلغوا تخوم اللقاء، لقيتهم جيوش هرقل من الروم، ومن القبائل المستعربة التي كانت تقطن الحدود... ونزل جيش الروم في مكان يسمى (مشارف) فيما نزل المسلمون بجوار بلدة تسمى (مؤتة)، ومن هنا سميت الغزوة باسمها.

وكان رسول الله ﷺ يدرك أهمية هذه الغزوة وخطرها، فاختار لها أولئك الثلاثة، وهم من رهبان الليل، فرسان النهار، ثلاثة من الذين آلوا على أن يقدموا أنفسهم بنية خالصة لله تعالى، فلم يعد لهم مطمع ولا أمنية إلا في استشهاد عظيم يصافحون به

أجناد هرقل من الروم، وأخذ
يصول ويجول في أحشائهم
حتى أدركته الشهادة، وما
هي إلا لحظات حتى يتناهى
خبر الشهداء الثلاثة إلى
رسول الله ﷺ وما قدموه من
بطولات وفدائية، فترحم عليهم
واستغفر لهم، ثم أطرق قليلاً
ثم قال: «لقد رفعوا إليّ في
الجنة!».» ٣٠.

نعم، استشهد زيد بن حارثة
في غزوة مؤتة، وراية الإسلام
عاليةً في يده، فتناولها جعفر
بن عبدالمطلب، ومن بعده
عبدالله بن رواحة؛ تناوبوا على
حملها خفاقةً حتى آثروا الآخرة
وعوجلوا إليها، فسلام عليهم مع
الأطهار من النبيين، والصديقين،
والشهداء، والصالحين، وحسن
أولئك رفيقاً.

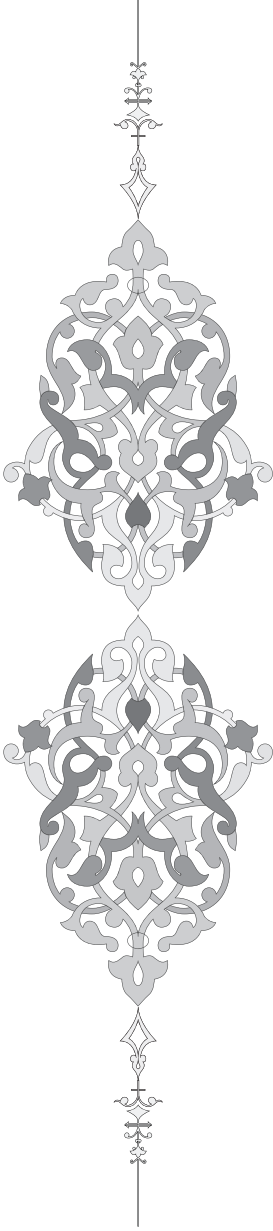
رضوان الله تعالى، ويطالعون
به وجهه الكريم هناك في جنة
عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين.

يصف الدكتور السيد
الجميلي ما جرى داخل ميدان
المعركة: وفي غزوة مؤتة
يواجه المسلمون فرسان الروم
بأعداد كثيرة لا تحصى، تملأ
السهل والجبل، ويستشرف
المسلمون عدوهم المدجج
بالسلاح، مسلحين باليقين،
وتقابل الجمعان والتحم
الفريقان، وسقط "زيد بن
حارثة" أمير جيش المسلمين،
فاستلم مكانه "جعفر بن أبي
طالب" وسرعان ما سعت
إليه الشهادة وعوجل إلى
ربه، فكان عبدالله بن رواحة
ثالث الأمراء الذين تولوا إمرة
جيش المسلمين، فضربوا

ومما جاء في رثائهم:

الشاعر حسان بن ثابت:

عين جودي بدمعك المنزور
وانكري في الرخاء أهل القبور
وانكري مؤتة وما كان فيها
يوم راحوا في وقعة التغير
حين راحوا وغادروا ثم زيدا
نعم مأوى الضريك والمأسور
حب خير الأنام طراً جميعاً
سيد الناس جبه في الصدور
ذاكم أحمد الذي لا سواه
ذاك حزني له معاً وسروري
إن زيدا قد كان منا بأمر
ليس أمر المكذب المغرور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا
فبحزن نبيت غير سرور



وقال شاعر من المسلمين ممن
رجع من غزوة مؤتة:

كفى حزناً أنى رجعت وجعفر

وزيد وعبدالله في رمس أقبر

قضوا نحبهم لما مضوا السبيلهم

وخلفت للبلوى مع المتغبر

ثلاثة رهط قدموا فتقدموا

إلى ورد مكروه من الموت أحمر^{٣١}

الهوامش

١. الأحزاب : ٣٧.
٢. الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤ : ٧٠، خلاصة روايتين بهذا الخصوص.
٣. أنظر مختصر تاريخ دمشق ٩ : ١٢٢ رقم ٥٦.
٤. أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٧.
٥. مختصر تاريخ دمشق ٩ : ١٢٧ وغيره.
٦. سورة الأحزاب : ٥.
٧. أنظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٨؛ وكتاب صحابة النبي ﷺ للجميل؛ والقرطبي في تفسيره للآية.
٨. حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ٢ : ٦٧ - ٦٨.
٩. كتاب الاحتجاج، للطبرسي.
١٠. حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ٢ : ٦٧ وغيره.
١١. أنظر سنن النسائي ٤ : ١٢؛ والمستدرک ٤ : ٧٠؛ حلية الأولياء ٢ : ٦٧.
١٢. أنظر ترجمتها في أسد الغابة ٧ : ٣٠٣؛ والاستيعاب : ٧٦٥ رقم الترجمة : ٢؛ والاصابة ٤ : ٤١٥ - ٤١٧ الترجمة رقم : ١١٤٥؛ مستدرک الحاكم ٤ : ٧١ وعند ابن كثير.
١٣. الأحزاب ٥٣.
١٤. أنظر التفاسير، ومنها مجمع البيان؛ وأسباب النزول، للواحي.
١٥. الأحزاب : ٣٦ - ٤٠.
١٦. مجمع البيان، للطبرسي، الآية.
١٧. الأحزاب : ٤٠.
١٨. مجمع البيان، للطبرسي، الآية.
١٩. القلم : ٤.
٢٠. أنظر تفسير الميزان، السورة والآية.
٢١. أنظر تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن.
٢٢. أنظر تفسير الطبري ٢٢ : ١٠ - ١١ ط. دار المعرفة، بيروت.
٢٣. الأحزاب : ٣٦.
٢٤. الأحزاب : ٣٦ - ٤٠.
٢٥. الأحزاب : ٤ - ٥.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ مجمع البيان، للطبرسي.
٢٧. مختصر تاريخ دمشق.
٢٨. مجمع البيان، للطبرسي، الآية.
٢٩. آل عمران : ٩٢.
٣٠. أنظر كتاب صحابة النبي ﷺ : ٢٦٤.
٣١. أنظر كتاب صحابة النبي ﷺ : ٢٦٤؛ مجلة مِيقَاتُ الْحَجِّ العدد : ٦ و ١٧ : السيرة النبوية، لابن هشام ٤ : ٣٠ - ٢٩.